خطبة جمعة بعنوان

[أهم التوجيهات إلى حقائق الدرجات}

لفضيلةِ شَيْخِنَا العلامة:
أبِيْ عبدالرحمن يحيى بن علي الحجوري

سجلت ١٤ / محرم/١٤٤٤ هجرية

مسجد ابراهيم بشحوح سيئون

فرغها :أبو عبدالله زياد المليكي

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70-71]

أما بعد أيها الناس : إن الله جل وعلا أخبر عن تفاوت العباد، في الدنيا ويوم المعاد، ومناط التفاوت هو الطاعة لله عز وجل والمعصية، فمن أطاع الله عز وجل رفعه وفضله وأعزه وأكرمه، ومن عصى الله عز وجل وضعه وأذله وأهانه وحرمه، ولهذا قال جل وعلا في كتابه الكريم:{أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (28)}[ص:28].

أي لا تساوي بينهم، ولا يجوز أن يعتقد التساوي بينهم، فإنهم كالحي والميت، :{أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا}[الأنعام:122].

أي هل يستوي هذا وهذا، وإنهم كالأعمى والبصير، {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ (19) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (20) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (21)} [فاطر:19،21]

فكما أن الأعمى لا يستوي مع البصير والظلمات مع النور والظل مع الحر لا يستوون، فكذلك لا يستوي الأخيار والأشرار، هذه سنة الله في

خلقه، وحكمته في عباده، أن الله جعل الناس على طرائق شتى، وجعلهم متفاوتين، وأن مناط الكرامة، وأن مناط الخير هو طاعة الله عز وجل وتقواه، فربنا سبحانه وتعالى خلق الناس جميعا من طين،{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14)}[المؤمنون:14،12].

خلقهم من تراب،{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ}[الحج:5].

كلهم لآدم وآدم من تراب،:{يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ}[الأعراف:27].

كلكم لآدم وآدم من تراب، ولكن خلقهم من هذه المادة. ومن جنس واحد، وأب واحد، وأم واحدة،:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا }اي لتعتقدوا وتعلموا وتعرفوا {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}[الحجرات:13].

الله خلقهم على هذا الحال لم يجعلهم على مجرد العنصر، بل فوت بينهم وجعل منهم فريقاً في الجنة وفريقاً في السعير، وجعل منهم شقي وسعيد،:{فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (105)}[هود:105].

وهداهما النجدين،:{وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (10)}[البلد:10].

وقال الله :{إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (3)}[الإنسان:3].

وقال الله سبحانه وتعالى مبينا موطن الرفعة والعزة:{مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ}[الإسراء:18].

هؤلاء أصحاب الضعف، والهمم الهابطة،:{ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (18)وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (19)كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (20)انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا

بَعْضَهُمْ}[الإسراء:19،21].

انظر أيها العبد، تفكر وتنبه لموطن التفضيل، وأساس التفضيل لا يخدعنك الشيطان حتى يهبط همتك، ويسقط قيمتك، ويهدر كرامتك، ويضع منزلتك، ويجعلك في الحضيض يوم القيامة في الدنيا والآخرة، تأمل في موطن الكرامة والرفعة،:{وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (19) كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ}

كلهم يرزقون، البر والفاجر يرزقهم الله، {وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (20)انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ}

أي فاوت بينهم، هذا طائع لله مكرم، وهذا عاص لله مهان، :{وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (21)}

انظر في نهاية هذه الدنيا،:{يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}[المجادلة:11].

ما جعلهم على حد سواء، فجعلهم متفاوتين على هممهم العلية، وعلى انتقاداتهم الزكية، ما جعلهم على حد سواء، فرفع الله سبحانه وتعالى أقواما حتى إن اهل الجنة ليتراءونهم فوقهم كالكوكب الغابر في الأفق، ففي صحيح البخاري(3256) عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"إنّ أَهْلَ الجَنّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِن فَوْقِهِمْ، كما يَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ في الأُفُقِ، مِنَ المَشْرِقِ أوِ المَغْرِبِ؛ لِتَفَاضُلِ ما بيْنَهُمْ. قالوا: يا رَسولَ اللهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الأنْبِيَاءِ لا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قالَ: بَلَى، والذي نَفْسِي بيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا باللهِ وصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ.

هذه أناس ليسوا بمرسلين، لكن آمنوا بالله وصدقوا المرسلين،{انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (21)}

هكذا حال الناس في الدنيا والآخرة:{هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ

بِمَا يَعْمَلُونَ (163)}[آل عمران:163].

عالم بمن له عمل صالح يرفعه الله به، ومن غير ذلك، بصير،:{وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا}[الأحقاف:19].

يوم القيامة، إن مناط الرفعة الحقيقية الصحيحة لا الرفعة الزائلة الفائتة المزيفة، التي يتهالك عليها الناس فيقتل بعضهم بعضا، ويلعن بعضهم بعضا، ويشرد بعضهم بعضا، ويفتن بعضهم بعضا لأجلها، للهمم الهابطة، هي رفعة العلم، هي رفعة الدين، هي رفعة طاعة رب العالمين، يرفع الله الذين آمنوا منكم، سائر المؤمنين مرفوع عند الله، وتزداد رفعة أهل العلم مع إيمانهم درجات، والذين أوتوا العلم درجات، درجات، أهل الخشية، أهل التقى، أهل الايمان،أهل الصلاح يرفعهم الله.

أيها المسلمون: إن أردتم الرفعة الحقيقية الصحيحة فإنها رفعة العلم، فإنها رفعة القرآن، من رفعه القرآن هو المرفوع، من وضعه القرآن هو الموضوع، فقد ثبت في مسلم(817)عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه :"أنّ نَافِعَ بنَ عبدِ الحَارِثِ لَقِيَ عُمَرَ بعُسْفَانَ، وَكانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ علَى مَكّةَ، فَقالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ علَى أهْلِ الوَادِي، فَقالَ: ابْنَ أبْزَى، قالَ: وَمَنِ ابنُ أبْزَى؟ قالَ: مَوْلًى مِن مَوَالِينَا، قالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عليهم مَوْلًى؟! قالَ: إنّه قَارِئٌ لِكِتَابِ اللَّهِ عَزّ وَجَلّ، وإنّه عَالِمٌ بالفَرَائِضِ، قالَ عُمَرُ: أمَا إنّ نَبِيّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قدْ قالَ: إنّ اللَّهَ يَرْفَعُ بهذا الكِتَابِ أقْوَامًا، وَيَضَعُ به آخَرِينَ.

فمن عظم كتاب الله وعلم وعمل بكتاب الله رفعه الله، القرآن حجة لك أو عليك، القرآن رافع لك أو واضع لك، ومن أعرض عن كتاب الله وضعه الله،

هكذا أخبر الله سبحانه وتعالى، ورسوله عليه الصلاة والسلام، وضعه الله، القرآن قائدك أو سائقك، وقد ثبت عند ابن حبان (124) عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"القرآنُ

شافعٌ مشفّعٌ ، وماحِلٌ مصدّقٌ ، من جَعلَه أمامَه قادَه إلى الجنّةِ ، ومن جعلَه خَلفَ ظهرِه ساقَه إلى النّارِ.

يعني لا يسير إلا أمامه كتاب الله، وسنة رسوله، يمشي على ضوئهما، ومن جعله خلفه قال وراء ظهره ساقه إلى النار، هذا هو موطن الرفعة كتاب الله، وحفظ كتاب الله هنيئا لأصحابه، والعناية به والعمل به، :" يُؤْتى بالقُرْآنِ يَومَ القِيامَةِ وأهْلِهِ الّذِينَ كانُوا يَعْمَلُونَ به، تَقْدُمُهُ سُورَةُ البَقَرَةِ وآلُ عِمْرانَ تحاجان عن صاحبهما"؛ أخرجه مسلم(805) عن النواس بن سمعان الأنصاري رضي الله عنه.

وثبت عند داود (1464) واللفظ له، والترمذي (2914)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (8056)، وأحمد (6799)،من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" يُقالُ لصاحِبِ القرآنِ اقرأ وارتقِ ورتِّل كما كنتَ ترتِّلُ في الدُّنيا فإنّ منزلَكَ عندَ آخرِ آيةٍ تقرؤُها.

منزلة ما في أعلى منها؛ منزلة النبيين، والصديقين، والشهداء، حفاظ القرآن، أهل القرآن، العمال به، أهل دين الله، قالت عائشة لا منزل أرفع من منزلة حافظ القرآن العامل به، لا منزلة أرفع، ونعمة المنزلة.

أيها الناس: إنه والله قد جهل كثير من الناس منازل الرفعة حقا، ولما جهلوها لعب عليهم الشيطان فأرادوها من غير طرقها وسبلها، إن رفعة الله سبحانه وتعالى حاصلة في هذه النعمة في كتاب الله وسنة رسوله، علما وعملا ودعوة، دينا استقامة واخلاصا، يا عبد الله أخلص عملك لله يرفعك الله، في الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أنه مرض فعاده النبي صلى الله عليه وسلم فقال:يا رَسولَ اللَّهِ، إنّ لي مَالًا كثِيرًا، وإنّما يَرِثُنِي ابْنَتِي، أفَأُوصِي بمَالِي كُلِّهِ؟ قالَ: لَا، قالَ: فَبِالشَّطْرِ؟ قالَ: لَا، قالَ: فَالنِّصْفُ؟ قالَ: لَا، قالَ: فَالثُّلُثُ؟ قالَ: الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كثِيرٌ، إنّ صَدَقَتَكَ مِن مَالِكَ صَدَقَةٌ، وإنّ نَفَقَتَكَ علَى عِيَالِكَ صَدَقَةٌ، وإنّ ما تأكُلُ امْرَأتُكَ مِن مَالِكَ صَدَقَةٌ، وإنّكَ أنْ تدَعَ أهْلَكَ بخَيْرٍ، أوْ قالَ: بعَيْشٍ، خَيْرٌ مِن أنْ تدَعَهُمْ يَتَكَفّفُونَ

النّاسَ.البخاري(3936)ومسلم(1628).

وإنك لن تنفق نفقة، واينظر الشاهد في الحديث فافقه، وإنك لن تنفق نفقة لا رياء لا سمعة لا تكثرا لا تبجحا لا منة هكذا، تبتغي بها وجه الله إلا ازددت بها درجة ورفعة، هنا ترتفع هنا أن تخلص العمل لله، أن تنفق وأنت لا تريد من الناس جزاء ولا شكورا، تريد وجه الله، تبتغي وجه الله، هنا ترفع، يرفعك الله بها درجة، يرفعك الله بالإيمان بالعمل الصالح،:{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ۖ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (1)إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2)الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (3)أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4)}[الأنفال:1،4].

هذا موطن رفعة ما ذكر في هذه الآية، ومغفرة ورزق كريم، درجات إيمان قرآن، تروي عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"الماهِرُ بالقرآنِ مع السفرَةِ الكرامِ البرَرَةِ ، والذي يقرؤُهُ ويتَعْتَعُ فيهِ وهو عليه شاقٌ لهُ أجران. البخاري (4937)، ومسلم (798)

ملائكة الله في الدرجات العلا، في السماوا، الذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران.

لكن المهارة بالقرآن درجات عالية، مع السفرة الكرام البررة، والله سبحانه وتعالى يقول :{لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (95)} [النساء:95].

درجات تختلف، فمن نصح لله وصدق مع الله جاهد لله،:{وَالَّذِينَ

جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (69)}[العنكبوت:69].

رفعه الله،:{أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (19)الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (20)}[التوبة:19،20].

أعظم، هكذا ماله لله، نفسه لله، كلها لله، هذا أعظم درجة من سائر المؤمنين من أمثاله، بل إن الإنسان ليصلي بجانب أخيه المسلم وبين صلاتيهما من التفاوت كما بين السماء والأرض، لما يعلمه الله من النفوس والقلوب والإخلاص والصدق والمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك مما يختلف فيه الناس، إذا أردت الرفعة فإن الرفعة في طاعة الله عز وجل، روى مسلم في صحيحه(251) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"

ألا أدُلُّكُمْ علَى ما يَمْحُو اللهُ به الخَطايا، ويَرْفَعُ به الدّرَجاتِ؟ قالُوا بَلَى يا رَسولَ اللهِ، قالَ: إسْباغُ الوُضُوءِ علَى المَكارِهِ، وكَثْرَةُ الخُطا إلى المَساجِدِ، وانْتِظارُ الصّلاةِ بَعْدَ الصّلاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّباطُ.

هذا هو موطن الرفعة؛ تتوضأ وتخرج إلى بيت من بيوت الله ليصلي فريضة من فرائض الله، ففي مسلم(666)عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" مَن تطَهّرَ في بَيْتِهِ، ثُمّ مَشَى إلى بَيْتٍ مَن بُيُوتِ اللهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِن فَرَائِضِ اللهِ، كانَتْ خَطْوَتاهُ إحْدَاهُما تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"صَلَاةُ الرّجُلِ في جَمَاعَةٍ تَزِيدُ علَى صَلَاتِهِ في بَيْتِهِ، وَصَلَاتِهِ في سُوقِهِ، بضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، وَذلكَ أنّ أحَدَهُمْ إذَا تَوَضّأَ

فأحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمّ أتى المَسْجِدَ لا يَنْهَزُهُ إلّا الصّلاةُ، لا يُرِيدُ إلّا الصّلاةَ، فَلَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إلّا رُفِعَ له بهَا دَرَجَةٌ، وَحُطّ عنْه بهَا خَطِيئَةٌ، حتّى يَدْخُلَ المَسْجِدَ، فَإِذَا دَخَلَ المَسْجِدَ كانَ في الصّلاةِ ما كانَتِ الصّلاةُ هي تحْبِسُهُ، وَالمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ على أحَدِكُمْ ما دَامَ في مَجْلِسِهِ الذي صَلّى فيه يقولونَ: اللّهُمّ ارْحَمْهُ، اللّهُمّ اغْفِرْ له، اللّهُمّ تُبْ عليه، ما لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، ما لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ.البخاري (647)، ومسلم (649) واللفظ له.

يا سبحان الله رفعة مستمرة منذ أن يتطهر إلى أن يخرج، حتى كان بعض السلف إذا خرج ابن مسعود وغيره خرج يمشي للصلاة يقارب بين خطواته من أجل أن ترتفع درجاته وتمحى سيئاته، درجات هذه الدرجات التي حرص عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف وبها ارتفعوا في الدار الآخرة، طاعات الله سبحانه وتعالى، فهكذا بعد هذه أيضا تسوية الصفوف، ثبت عن عائشة رضي الله عنها عند أحمد وابن ماجة(821)، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"

إنّ اللّهَ وملائِكتَهُ يصلُونَ على الّذينَ يصلونَ الصُفوفَ ومن سدّ فرجةً رفعَهُ اللّهُ بها درجةً.

وفي الحديث الآخر :"مَن وصلَ صفًّا وصلَهُ اللّهُ ، ومَن قطعَ صفًّا قطعَهُ اللّهُ عزّ وجلّ"؛ رواه النسائي(818) عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

لكن في هذا اللفظ ومن سد فرجة رفعه الله بها درجة، تريد درجات افعل هذه الطاعات اليسيرة السهلة الذي يحتقرها كثيرا من الناس ويحتقر أهلها، لما عظموا الدنيا وزينتها، هكذا إذا دخل في الصلاة فإنه كل ما ازداد في سجود وركوع ارتفع درجات عند الله، أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، أقرب ما يكون، وفي صحيح مسلم(488) من حديث ثوبان بن بجدد رضي الله عنه، أن معدان بن أبي طلحة قال:"لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عليه وسلّمَ، فَقُلْتُ: أخْبِرْنِي بعَمَلٍ أعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللّهُ به الجَنّةَ؟ أوْ قالَ قُلْتُ: بأحَبِّ الأعْمَالِ إلى اللّهِ، فَسَكَتَ. ثُمّ سَألْتُهُ فَسَكَتَ. ثُمّ سَألْتُهُ الثّالِثَةَ فَقالَ: سَألْتُ عن

ذلكَ رَسولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عليه وسلّمَ، فَقالَ: عَلَيْكَ بكثْرَةِ السُّجُودِ لِلّهِ، فإنّكَ لا تسْجُدُ لِلّهِ سَجْدَةً، إلّا رَفَعَكَ اللّهُ بهَا دَرَجَةً، وحَطّ عَنْكَ بهَا خَطِيئَةً.

هذه موطن الرفعة هذه الجنة، درجات الجنة بهذه، يريد يرتفع في الجنة فأخبره بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنك لن تسجد لله سجدة؛ سجدة واحدة، هبها سجدة شكر، هبها سجدة تلاوة، هبها سجدة سهو، هبها صلاة فريضة، وهي أفضل من غيرها، صلاة نافلة، كل سجدة تسجدها لله ترتفع بها درجة في الجنة، هذا فضيلة السجود لله، ولهذا لما قال ربيعة بن كعب يا رسول الله قال سلني يا ربيعة، كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم، قال: سلني يا ربيعة، الرسول صلى الله عليه وسلم كان شاكرا فأراد أن يكافئه، قال يا رسول الله أسألك مرافقتك في الجنة، الرفقة في الجنة أو غير ذاك؟ قال: هو ذاك، قال : فأعني على نفسك بكثرة السجود، كنت تريد الرفيق رفيق رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدرجات العلا أعني على نفسك بكثرة السجود، ولهذا قال الله عز وجل :{وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مّنَ النّبِيّينَ وَالصّدّيقِينَ وَالشّهَدَاءِ وَالصّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (69)}[النساء:69].

هذا الذي يريد الرفعة درجات العلا مع النبيين، ومع الصديقين، ومع الشهداء، والصالحين، يلزم طاعة الله، يلزم طريقهم وغرزهم، في الاستقامة على دين الله، وتعظيم دين الله، وإقامة دين الله، هذا هو الركب الذي يجب أن يحرص على رفقة رفقته.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، الحمد لله نحمده كثيرا، ونشكره كثيرا، إنه كان بنا بصيرا، الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا كما يحب ويرضى، الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه في الآخرة والأولى، الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ومصطفاه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سلك نهجه واهتدى بهداه، أما بعد أيها الناس: هذه سبيل الرفعة، هذا سبيل التنافس، هذا سبيل الدرجات، سحرة فرعون لما هددهم قالوا يعني:{فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ (71)قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا} انظر الآن سبيل الرفعة هو الثبات على دين الله عرفته فالزم، دعك من الزحزحة حق الضايعين الهلكى، زحزح عن دين الله،{لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72)إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (73)إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (74)وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ (75)}[طه:72،75].

موعظة بليغة أعطوا أنفسهم والمسلمين بعدهم، مجرد ما عرفوا الحق واستبان لهم ووضح لهم وإذا بهم ينقلبون من شرك وكفر وسحر إلى إيمان في غاية القوة والثبات عليه، {لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا}

ومن الناس من يعرف الإسلام من طفولته وصغره وإذا به إذا حصل له نزر من الدنيا أو شبهة من الشبهات انقلب على عقبيه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين، عرفت الحق فالزم، هذا سبب الرفعة،:{ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ

لَا يَعْلَمُونَ (18) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (19) }[الجاثية:18،19].

إن أردت أن تكون مرفوعا في الدنيا والآخرة هذا بابه، لازم هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلقه، لازم خلقه ومكارم الأخلاق في جامع الترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"زعيمٌ ببيتٍ في رَبَضِ الجنةِ لمَن ترَكَ المِراءَ وإن كان مُحِقًّا ، وببيتٍ في وسطِ الجنةِ لمَن تركَ الكذبَ وإن كان مازحًا ، وببيتٍ في أعلى الجنةِ لمَن حَسُنَ خُلُقُه.

ثلاث ضمانات، ضمانة في ربض الجنة، اترك المراء والجدال وإن كنت محقا، ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، إلا فيما كان من علم وهدى.

الثانية : اتركوا المزاح، كثرة المزاح، والمجون وما إلى ذلك، إن كان مازحا، الكذب وإن كان مازحا، اترك الكذب ولو كان مزحا، شتى وسائل الكذب تجنبه، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، ولا يزال يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا"؛رواه البخاري (6094)، ومسلم (2607) واللفظ له، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن الناس من مزاحه كله كذب، وتلفيقات، وتضحكات للناس في غير الحقائق، وهذا ينطبق عليه هذا الحديث ويحرم هذا الحرمان، إلا من عفا الله عنه، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه، وقالت عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم:"إن المؤمنَ لَيُدْرِكُ بحُسْنِ خُلُقِه درجةَ الصائمِ القائمِ. أخرجه أبو داود(4798)

صائم قائم وهو عنده خلق حسن وينال الدرجات العظيمة ويسابق أهلها، وأكثر من ذكر الله، ففي الصحيحين، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى إليه فقراء المهاجرين قالوا:"

ذهَبَ أهلُ الدُّثورِ بالأجورِ، يُصلُّونَ كما نُصلِّي، ويَصومونَ كما نَصومُ، ويَتصدّقونَ بفُضولِ أموالِهم، فقال: أوليس قد جعَلَ اللّهُ لكم ما تصدّقونَ، إنّ بكلِّ تسبيحةٍ صَدَقةً، وبكلِّ تكبيرةٍ صَدَقةً، وبكلِّ تهليلةٍ صَدَقةً، وبكلِّ تحميدةٍ صَدَقةً، وأمْرٌ بالمَعروفِ صَدَقةٌ، ونَهْيٌ عنِ المُنكرِ صَدَقةٌ، قال: ألا أدلكم على ما إذا عملتم به أدركتم من سبقكم وسبقتم من بعدكم؟ قال: بلى يا رسول الله، قال : تسبحون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين، وتحمدون الله ثلاثا وثلاثين، وتكبرون الله ثلاثا وثلاثين.. الحديث.

هذا سبب السبق والرفعة، وثبت من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"ألا أنبِّئُكم بخيرِ أعمالِكم ، وأزكاها عندَ مليكِكم ، وأرفعِها في درجاتِكم وخيرٌ لكم مِن إنفاقِ الذّهبِ والورقِ ، وخيرٌ لكم من أن تلقوا عدوّكم فتضربوا أعناقَهُم ويضربوا أعناقَكم ؟ قالوا : بلَى . قالَ : ذِكرُ اللهِ تعالى قالَ معاذُ بنُ جبلٍ : ما شَيءٌ أنجى مِن عذابِ اللهِ من ذِكرِ اللهِ. رواه الترمذي(3377)

ذكر الله أرفع لكم من هذا كله لما فيه من فضل ولسهولته ويسره، ولأنه يستوعب دين الله كله، وعليك بالنية الصادقة يرفع الله درجاتك، فقد ثبت في صحيح مسلم(1908)عن سهل بن حنيف رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"من سألَ اللهَ الشّهادة صادقًا بلّغَه اللهُ منازلَ الشُّهداء وإن ماتَ علَى فراشِه.

اللّهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللّهم اجعل أعمالنا وأقوالنا كلها خالصة لوجهك نافعة لعبادك، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، سبحانك اللّهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.